# الحقول الدلالية لـ(هل) في السياق القرآني

**د. سالم علي بيدق**
**قسم اللغة العربية – كلية الآداب بالزاوية**
**جامعة السابع من أبريل**

قبل الخوض في هذا الموضوع يجب أن نعرج صوب تحول منهجي آخر في مسار الدراسة الدلالية، وهو التحول الذي يهدف إلى تصنيف المداخل المعجمية في أنساق بنيوية وفق علائق دلالية مشتركة حيث تبلورت في ظل هذه المقاربة المنهجية نظرية الحقول الدلالية، والحقل الدلالي هو مجموعة من المفاهيم تنبني على علائق لسانية مشتركة ويمكن لها أن تكوّن بنية من بنى النظام اللساني(1)، كحقل الألوان، وحقل القرابة العائلية، وحقل مفهوم الزمان وحقل مفهوم المكان وغير ذلك من الحقول التي يعسر على الدارس حصرها.

بتأمل النظرية اللسانية المعاصرة تجد أن فكرة الحقول الدلالية لم تتبلور وتأخذ مسارها الطبيعي في رحاب الدراسة الدلالية إلا في الأعوام الثلاثين من القرن الماضي[2]، ويعود الفضل في هذا إلى علماء سويسرين وألمان وعلى رأسهم دي سوسير الذي كان قد وضع اللبنة التأسيسية الأولى لهذا المبحث، حينما أومأ مسبقاً إلى وجود علائق دلالية بين المداخل المعجمية بإمكانها أن تصنف النظام اللساني إلى مجموعة من الأنساق يختلف بعضها عن بعض وهو ما يسميه العلائق الترتيبية[3].

ولا يعني هذا أن نبخس أو نقلل من جهود اللغويين العرب الأقدمين في محاولة الاضطلاع بدراسة معجمية تعوّل على الحقول الدلالية في تصنيفهم للمداخل المعجمية التي تكوّن الرصيد المعجمي للسان العربي، فقد تنبه نفر غير قليل منهم لذلك، وأفضى بهم إلى وضع معاجم حقلية، وهو ما يسمى عندهم بمعاجم الموضوعات، وهي المعاجم التي تزخر برصيد ثري من الحقول التي فيها من الدقة ما لا ينكسر ولا يرد.

إن أهم الأمور المعول عليها في معرفة الحقول الدلالية هي:

1- تحديد الحقل:

إن أدنى التفاتة إلى جهود الباحثين اللسانيين في حصر الحقول الدلالية للأنظمة المختلفة، تدل على المفهوم التصوري للحقل المراد دراسته يقوم على تصور ذاتي اعتباطي، بمعنى أنه يختلف من باحث إلى آخر، وهذا يعني أن التحديد يخضع لذاتية الباحث نفسه دون تدخل أي عامل موضوعي أو لساني بحث.

2- تحديد الوحدات:

إن المقاييس المعمول عليها لتحديد المداخل المعجمية التي تغطي المجال الدلالي لحقل ما، تختلف من باحث إلى آخر، ففي مجال الإجراءات

التجريبية يمكن أن نشير إلى أن هناك سبيلين لاستجلاء النسق لبنية الحقل الدلالي، أحدهما يعتمد على الحدس الذاتي للباحث، والثاني ينحو نحو مقاييس و معايير موضوعية.

وبنظرة أشمل وأوسع يمكن الاستفادة من هذا الرأي في دراسة السياقات التي تشكل مع أداة الاستفهام (هل) سياقاً تركيبياً ودلالياً يمكن أن يفضي إلى حقول دلالية بعينها.

وإذا تأملت أداة الاستفهام (هل) في السياق القرآني وجدتها ترتبط بمجموعة من الأفعال منها الاستواء والنظر والإتيان، ولأنها تكاد أن تختص بالدخول على الأفعال، لذلك ذهب بعض النحويين إلى أن(هل) في أصلها بمعنى (قد)، أما الهمزة فهي تدخل على الأفعال والأسماء على حد سواء، ودخول (هل) على الأسماء يعني أنها غير مقيد بزمن(4)، إذ إن الفعل من أهم القرائن التي تحدد زمن الحدوث.

فمن اقتران هل بالاستواء ليتشكل معه حقلاً دلالياً قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فيه شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الحَمْدُ لِلَّه بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(5).

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ (6).

ويلحظ هنا التركيز على الفاعل فحسب دون النظر إلى المفعول" وكأننا ننزل الفعل منزلة اللازم، واللازم هو الذي يكتفي بفاعله، فنتناسى مفعوله، وخير مثال لهذا قوله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ فالمراد بالآية -والله أعلم بمراده- أنه لا

يستوي أهل العلم وغيرهم من الجهال، فلا تعني الآية هنا المفعول،أي: الذين يعلمون الفقه، أو التفسير أو الحديث، كل الذي تعنيه أن العالمين لا يستوون مع الجاهلين"(7).

وقوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ ﴾(8).

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ أي الكافر والمؤمن، وقيل الجاهل والعالم ﴿أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ إنهما لا يستويان(9).

ويقول ابن عاشور: "هذا ختام للمجادلة معهم وتذيل للكلام المفتتح بقوله ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ أي قل لهم هذا التذييل عقب ذلك الاستدلال.

وشبهت حالة من لا يفقه الأدلة ولا يفكك بين المعاني المتشابهة بحالة الأعمى الذي لا يعرف أين يقصد، ولا أين يضع قدميه، وشبهت حالة من يميز الحقائق ولا يلتبس عليه بعضها ببعض بحالة قوي البصر حيث لا تختلط عليه الأشباح، وهذا تمثيل لحال المشركين في فساد الوضع لأدلتهم وعقم أقيستهم، ولحال المؤمنين الذين اهتدوا ووضعوا الأشياء مواضعها، أو تمثيل لحال المشركين التي هم متلبسون بها والحال المطلوبة منهم التي نفروا منها ليعلموا أي الحالين أولى بالتخلق، وقوله ﴿أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ استفهام إنكار، وهو معطوف بالفاء على الاستفهام الأول"(10).

وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ (11).

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الفَرِيقَيْنِ﴾ ابتداء، والخبر ﴿ كَالأَعْمَى﴾...وقيل المعنى هل يستوي الأعمى والبصير، وهل يستوي الأصم والسميع (مثلاً) منصوب على التمييز ﴿أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ في الوصفين وتنظرون(12).

وقد شبه القرآن "حال فريق الكفار بعدم الانتفاع بالنظر في دلائل وحدانية الله الواضحة من مخلوقاته بحال الأعمى، وشًبهوا في عدم الانتفاع بأدلة القرآن بحال من هو أصم، وشبه حال فريق المؤمنين في ضد ذلك بحال من كان سليم البصر، سليم السمع فهو في هدى ويقين من مدركاته، وترتيب الحاليين المشبه بهما في الذكر على ترتيب الفريقين فيما تقدم ينبئ بالمراد من كل فريق على طريقة النشر المرتب والترتيب في اللف والنشر هو الغالب(13).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَراًّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾(14).

فالاستفهامان تكون الإجابة عليهما: لا، ولكن القرآن لا يكتفي بهذا الحرف، إنما يزيد المعنى حين يقول العبد: حسبي الله، فنفي بهذا القول ضمنيّاً أن يكون لغير الله من المعبودات قدرة على كشف الضر، أو إمساك الرحمة،، وهذا مما يحمل على التفكير والتجاوب مع النص حيث كان الاستفهام دالاً على النفي، فهو كالصورة التي يراها الإنسان فلا يملك إلا أن يقول: لا.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ "أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾

ثم أمره أن يقول لهم:هو الله إلزاماً للحجة إن لم يقولوا ذلك وجهلوا من هو{قل أفاتخذتم من دونه أولياء}هذا يدا على اعترافهم بأن الله هو الخالق وإلا لم يكون الاحتجاج بقوله ﴿أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ معنى؛ دليله قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ أي فإذا اعترفتم فلما تعبدون غيره؟! وذلك الغير لا ينفع ولا يضر؛ وهو إلزام صحيح، ثم ضرب الله مثلاً فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ فكذلك لا يستوي المؤمن الذي يبصر الحق، والمشرك الذي لا يبصر الحق، وقيل: الأعمى مثل لما عبدوه من دون الله،والبصير مثل الله تعالى(15).

إن هذا السياق هو للإنشاء والغرض منه التقرير، وهذا يكون في الاستفهام غير الحقيقي، وهو ما يسميه(بلونتين) الاستفهام الحجاجي أو السؤال الحجاجي، الذي ليس استخباراً وطلب جواب بل هو وسيلة حجاج(16).

أما قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَّمْلُوكاً لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِراً وَجَهْراً هَلْ يَسْتَوُونَ الحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(17).

فقوله تعالى: "﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً﴾ نبه الله تعالى على ضلالة المشركين، وهو منتظم بما قبله من ذكر نعم الله عليهم وعدم مثل ذلك من آلهتهم ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً﴾ أي بيّن شبهاً؛ ثم ذكر ذلك فقال: ﴿عَبْداً مَّمْلُوكاً﴾ أي كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حر قد رزق رزقاً حسناً فكذلك أنا وهذه الأصنام، فالذي هو مثال في هذه الآية هو عبد بهذه الصفة مملوك لا يقدر على شيء من المال ولا من أمر نفسه، وإنما هو مسخر بإرادة سيّده"(18).

لقد ضُرب المثل ليبين للناس الفرق بين من يخلق وبين من لا يخلق"فشبه حال أصنامهم في العجز عن رزقهم بحال مملوك لا يقدر على تصرف في نفسه ولا يملك مالاً، وشبه شأن الله تعالى في رزقه إياهم بحال الغني المالك أمر نفسه بما شاء من إنفاق وغيره، ومعرفة الحالتين المشبهتين يدل عليه المقام، والمقصود نفي المماثلة بين الحالتين، فكيف يزعمون مماثلة أصنامهم لله تعالى في الإلهية، ولذلك أعقب بجملة (هل يستوون)،وذيل هذا التمثيل بقوله تعالى: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ كما في سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ الآية، فإن المقصود في المقامين متحد، والاختلاف في الأسلوب إنما يومئ إلى الفرق بين المقصود ثانياً كما أشرنا إليه هنالك"(19).

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(20).

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ "هذا مثل آخر ضربه الله سبحانه وتعالى لنفسه وللوثن، فالأبكم الذي لا يقدر على شيء هو الوثن، والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى"(21).

وهذا تمثيل ثان للحالتين، حال الأبكم العاجز عن الإدراك، وعن العمل وعدم حصول الفائدة منه في كل الحالات، وحال الرجل الكامل العقل والنطق في إدراكه الخير، وإتقانه لعمله، ضربه الله مثلاً لكماله وإرشاده النّاس إلى الحق، ومثلاً للأصنام الجامدة التي لا تنفع ولا تضر(22).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى

وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الوَاحِدُ القَهَّارُ﴾(23).

وقد تفيد هل التمني كما في قوله تعالى : ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾(24)، فحقيقة الآية ناطقة بما يتمنونه المشركون يوم القيامة، وليس سؤالاً يراد الإجابة عليه، وقد "حملت (هل) على إفادة التمني لعدم التصديق بوجود شفيع في ذلك المقام فيتولد التمني بمعونة قرينة الحال"(25).

**بالنظر إلى ما تقدم:**

1) يلحظ أن المقارنة تنصب فيها دائماً على القدرة، وقد تكون هذه القدرة عضوية، ( السمع والبصر) وقد تكون قدرة معنوية كالقدرة على الإنفاق.
2) يلحظ أن هل في السياقات السابقة قد استثمرت الاستواء وجعلته حقلاً دلالياً، وذلك من خلال ضرب المثل.

**اشتراك هل مع الفعل (يجزي)**

يلاحظ كثافة ظهور الفعل (يجزي) على اختلاف اشتقاقه أو ما يحمل معناه، في حالة إظهار عقاب الله للكفار و المشركين بعد هل،وهذا حقل دلالي آخر تستثمره في المحاجة والمداولة، من ذلك قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾(26).

وقوله تعالى : ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلاَّ الكَفُورَ﴾(27)، وهو استفهام إنكاري، لأن "المعنى فيه على أن ما بعد الأداة منفي، ولذلك لن تصحبه(إلا)" (28).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلاَلَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(29).

3) يلحظ في مجمل الآيات ظهور صوت الصفير،وعلى وجه الخصوص في مشتقات الاستواء، والسمع والبصر والصم.

4) تعتبر هل أقوى في الدلالة على التوكيد من الهمزة، ومن ذلك عل سبيل المثال قوله تعالى: ﴿أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ﴾(30)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾(31)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ (32)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً﴾(33).

لقد استعمل القرآن الكريم الهمزة و(هل) مع الفعل (نبّأ) وعند النظر في الاستعمالين ترى أنه استعمل (هل) لما هو أقوى وآكد في الاستفهام وهذا يبينه السياق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(34)، فاستُعملت الهمزة ولم تُستعمل هل.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن

لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾(35) .

5) والفرق واضح بين السياقين، فأنت ترى أن في السياق الثاني قوة وتبكيتاً لا تجدها في السياق الأول، فذكر أن الكفار اتخذوا الدين والنداء والصلاة هزواً ولعباً، وقد وصفهم بالفسق وعدم العقل، وأنهم لعنهم الله وغضب عليهم، ومسخ منهم قردة وخنازير، وأنهم عبدوا الطواغيت، ثم قال: ﴿أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ويمضي في وصفهم بهذه الصفات القبيحة، وليس الأمر كذلك في الآية التي قبلها، ولذا جاء فيها ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾، ومثله قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾، فأنت ترى في السياق قوة وشدة في الرد على الكفار المشركين ناتجة من استعمال صيغة المبالغة أفاك وأثيم، وخاصة إذا عرفنا أن الأثيم هو المبالغ في الإثم، زد على ذلك أن (الأثيم تناسب أفاك، فكلتاهما جاءت للمبالغة، فأفاك صيغة مبالغة، وأثيم صفة مشبهة.

وكذلك اقترنت هل بمشتقات النظر، وحرف (هل) "مفيد الاستفهام ومفيد التحقيق ويظهر أنه موضوع الاستفهام عن أمر يراد تحقيقه، فلذلك قال أئمة المعاني إن هل لطلب تحصيل نسبة حكمية تحصل في علم المستفهم(36)، ومن هذا الوجه الوظيفي يتضح مدى التناسب بين هل ودلالة مشتقات النظر.

وتستثمر هل مشتقات النظر استثماراً كبيراً لتكون معها سياقات مسارها الحقل الدلالي للفعل ينظرون وما كان في معناه، وهناك عدة دلالات محتملة لمشتقات النظر، والمتبادر عند اقتران هل بمشتقات النظر هو دلالة

انتظار ما يأتي في المستقبل كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾(37)، فالمعنى "أقمت عليهم الحجة وأنزلت عليهم الكتاب فلم يؤمنوا، فماذا ينتظرون ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ﴾ إي عند الموت لقبض أرواحهم"(38).

وقوله تعالى في: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾(39). وقد فسر الزمخشري الآية بقوله: "فإن قلت لم يأتيهم العذاب في الغمام؟ قلت لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول، لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أغم، كما إن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسرّ، فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير، ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجئها من حيث يتوقع الغيث"(40).

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(41).

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ المَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(42).

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ (43).

إن حرف الاستفهام (هل) في الآيات السابقة بمعنى (ما)، وقد يحملونه على التقرير(44)، واختلف العلماء في التقرير بـ(هل)، فابن جني لا يجوز ذلك، وذهب كثير من العلماء إلى أنها تشارك الهمزة في التقرير ومثلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ (45) وقالوا بأنها تشارك الهمزة في معنى التقرير والتوبيخ(46).

بتأمل الآيات التي اقترنت فيها هل بمشتقات الرؤية أو مشتقات النظر يتضح أنها تخرج في الغالب عن المستوى الحسي بمعنى المشاهدة والمعاينة، لكن هذه الدلالة غير ملغاة تماماً، ويمكن تسجيل الملحوظات الآتية:

1) إن مشتقات النظر والرؤية لا ترد في القرآن الكريم بمعنى الحاسة دائماً، وإنما قد ترد بمعناها القلبي.
2) إن استخدام مشتقات الرؤية والنظر حتى عندما يكون المعنى قلبيّاً لا تفقد صلتها بالحاسة، وبعبارة أخرى فإننا لا نستطيع أن نسمع اللفظ دون أن تخطر في الذهن صورته.
3) يلحظ أن فعل الرؤية في كثير من الآيات يتعلق بالغيبيات بدون تبصر دقيق أن نميز مثلاً بين النجوم البعيدة والنجوم القريبة، إذ أن الأمر يستدعي استخدام وسائل ووسائط علمية معقدة، فالمسألة أقرب إلى الحالة القلبية من الحالة الإبصارية، أو الأمور التي يصعب على الإنسان الإلمام بها من خلال الحاسة، فلا نستطيع.
4) قد يستخدم مدخل السمع – كحاسة– بمعنى إجابة الدعاء وهو مدخل مناسب لأن الإجابة تكون مترتبة لسماع الدعاء.

5) عندما يتركب الاستفهام من هل وفعل النظر تُلحظ كثافة ظهور فعل الإتيان ومشتقاته، وهو بذلك يشكل معه حقلاً دلاليا دون ذكر فعل المجيء، وهذه الخاصية تتناسب مع يوم القيامة بوصفه أمراً غيبيّاً، وهذه من خصوصيات القرآن الكريم، إذ يستخدم في المعتاد الفعل أتى ومشتقاته لما هو غيب في الماضي أو المستقبل، من ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغَاشِيَةِ﴾، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الجُنُودِ﴾، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾، بخلاف فعل المجيء فإنه يستخدم في الغالب لما هو دون الغيب كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾، على الرغم من أن الفعل أتى والفعل جاء كلاهما بمعنى الحضور في دلالته العامة، لكن أتى ومشتقاته تستخدم استخداماً معنويّاً في الغالب لما هو معنوي، أمّا جاء ومشتقاتها فتستخدم استخداماً حسيّاً في الغالب أو مباشراً، فالفعل الذي تدخل فيه هل وفعل النظر والفعل أتى أو أحد مشتقاته هو سياق غيبي أو معنوي.

## الهوامـــش:

1) ينظر، أحمد حساني ، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، طبعة 1999، ص161.
2) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة، 1998، ص82.
3) ينظر، أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص164.
4) ينظر فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان الأردن، ط 10، 2005، ص191.
5) سورة الزمر، الآية 29.
6) سورة الزمر الآية 9.
7) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، ص286.
8) سورة الأنعام ، الآية 50.
9) ينظر، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م3 ج337/2.
10) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 243/7.
11) سورة هود الآية 24.
12) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، م5 ج21/1.
13) ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسيةللنشر،1989، 40/12.
14) سورة الرعد ، الآية 16.
15) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م5ج264/1، 265.
16) ينظر عبدالله صولة، الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، كلية الآداب، منوبة تونس، 2002، 487/1.
17) سورة النحل الآية 75.
18) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، م5 ج132/2، 133.
19) أبن عاشور، التحرير والتنوير، 223/14، 224.

20) سورة النحل الآية 76.
21) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، م5 ج135/2.
22) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، 227/14.
23) سورة الرعد الآية 16.
24) الأعراف الآية 56.
25) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث ، القاهرة، 321/2.
26) سورة يونس، الآية 52.
27) سورة سبأ، الآية 17.
28) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 328/2.
29) سورة سبأ، الآية 33.
30) سورة الحج، الآية 72.
31) سورة المائدة الآية 60.
32) سورة الشعراء، الآيتان 221، 222.
33) سورة الكهف، الآية 103.
34) سورة المائدة، الآيات 57-60.
35) سورة الشعراء، الآيات221 222، 223.
36) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 282/2.
37) سورة الأنعام، الآية 158.
38) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 130/4.
39) سورة البقرة الآية 210.
40) الزمخشري، الكشاف، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت 353/1.
41) سورة الأعراف الآية 53.
42) سورة النحل، الآية 33
43) سورة الزخرف ، الآية 66.

44) ينظر، ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، دار التراث العربي القاهرة، ط2، 1973، 538.

45) سورة الشعراء الآية 72.

46) ينظر ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، 538